النظام الرأسمالي، ومن ثم اشادة المجتمع الاشتراكي، الذي لا مجال فيه للعلاقات القائمة على الاستغلال والعنصرية والطائفية والتعصب القومي. هذه الظواهر التي نشأت وترعرعت في عهود المجتمعات الطبقية القائمة على التناقضات العدائية، والتي ظهرت فيها ظروف ملاحقة اليهود واضطهادهم. لذا، فان محاكمة علمية لما عرف بمسألة اليهود وخصوصيتها، تضع الحقائق التاريخية لهذه المسألة في موقعها الصحيح.

كارل ماركس ومسألة اليهود

يقول ماركس، في مؤلفه «حول مسألة اليهود»*، والذي كتبه رداً على تفسيرات برونو باور لهذه المسألة: «لم تستمر اليهودية رغماً عن التاريخ، بل من خلال التاريخ»(٩). بهذا، يعترض ماركس على التفسيرات التي تناولت هذه المسألة من منطلق فلسفي ــ لاهوتي ويرجعها الى أسسها الاقتصادية ــ الاجتماعية. فالبحث عن جوهر اليهودي ليس في دينه، وانما في موقعه الطبقي الخاص والمتميز في المجتمع المعني. «يجب ألّا نبحث عن سّر اليهودي في دينه، بل عن سّر الدين في اليهودي الواقعي»(١٠). و «تطرح مسألة اليهود بصورة مختلفة تبعاً للدولة التي يعيش في ظلها اليهودي»(١١)، أي ليست هناك مشكلة يهودية بالمطلق.

ويتساءل ماركس: «ما هو الأساس الدنيوي لليهودية؟» ويجيب: «انها الحاجة العملية والمنفعة الشخصية.. ما هي العبادة الدنيوية لليهودي.. انها المتاجرة. من هي آلهته الدنيوية؟ انه المال»(١٢). ان طرح ماركس للسؤال، والذي يتجاوز فيه رؤية بـاور لهذه المسألة يتضمن أيضاً السؤال التالي: «ما هو العنصر الاجتماعي الخاص اللازم لالغاء اليهودية»(١٣). ويجيب بكل وضوح: «عندما يتمكن المجتمع من الغاء الجوهر العملي لليهودية، المتاجرة وشروطها، يصبح وجود اليهودي مستحيلاً. ذلك لأن وعيه لم تبق ثمة حاجة اليه، ذلك لأن القاعدة الذاتية لليهودية، الحاجة العملية، قد اتخذت شكلاً انسانياً، ذلك لأن الصراع بين الوجود الفردي المحسوس للانسان ووجوده الاجتماعي قد الغي. ان التحرر الاجتماعي لليهودي، هو تحرير المجتمع من اليهودية»(١٤). وقد ربط ماركس بين جوهر اليهودية وجوهر المجتمع البرجوازي حين قال: «الحاجة العملية والانانية هما أساس المجتمع البرجوازي... اله الحاجة العملية والانانية هو المال. المال هو اله اسرائيل المطماع والذي لا يجوز لأي اله آخر أمامه أن يقف. ان المال يخفض جميع آلهة البشر ويحولها الى سلعة. لقد أصبح اله اليهود دنيوياً، وغدا اله العالم. الصيرفة، هي الإله الحقيقي لليهودي»(١٥).

بهذا كله، يكون واضحاً، أن حلّ مسألة اليهود ليس من واجب الدين، كما أراده برونو باور. وليس بالتحرر السياسي لليهود. كما انه ليس أيضاً بتجاوز هذه المسألة وتسامح الدولة المسيحية معها. اذ عندما يتمكن المرء من فهم أسس اليهودية التي هي المنفعة العملية والمصلحة الشخصية والأنانية والمتاجرة، وتحويل كل القيم الى سلع، هذه الخصائص التي تتناغم مع الجوهر الاجتماعي للدولة البرجوازية، يستطيع المرء أن يجد حل

(*) وقد ترجم العنوان للعربية «حول المسألة اليهودية» خطأ.